توجيهات ووصايا للنساء

[١] الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال :

قال تعالى : ﴿ وما أُمروا إلاَّ ليعبُدُوا اللَّه مُخلصين له الدِّين حُنفاء ويُقيموا الصَّلاة ويُؤتوا الزَّكاة وذلك دين القيِّمة ﴾ [البينة : ٥] .

وقال تعالى : ﴿ قُل إن تُخفُوا ما في صُدُوركُم أو تُبدُوه يعلمه اللَّهُ ويعلمُ ما في السَّموات وما في الأرض واللَّهُ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ (٢٩) ﴾ [آل عمران : ٩] .

وعن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت**

هجرته لدنيا يُصيبها ، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » (١) .

قال الفضيل بن عياض : ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص : أن يعافيك الله منهما .

وقال حذيفة المرعشيّ : الإخلاص : أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن .

فمن شرط قبول العمل – أي عمل – أن يكون خالصاً لوجه الله – عز وجل – لاحظَّ للنفس أو للهوى أو للخلق فيه نصيب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « **قال الله : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك** » (٢) ، ولذلك قال مطرف بن عبد الله : صلاح القلب بصلاح

---

(١) **صحيح** : رواه البخاري « ١ » ، ومسلم « ١٩٠٧ » .

(٢) **صحيح** : رواه مسلم « ٢٩٨٥ » وابن ماجه « ٤٢٠٢ » واللفظ له ، وابن حبان « ٣٩٥ » .

العمل ، وصلاح العمل بصلاح النية .

وبالنية ينال المرء العمل وثوابه وإن لم يعمله ، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال : « **من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح كُتِبَ له ما نوى ، وكان نومه صدقةً عليه من ربه** »(١) .

قال ابن المبارك : رُبَّ عمل صغير تُعظِّمه النية ، ورُبَّ عمل كبير تُصغِّره النية ، بل ربما حبط العمل كله ، وأُمر به فسحب على وجهه في نار جهنم – والعياذ بالله – .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنَّ أول النَّاس يُقضى يوم القيامة عليه : رجلٌ استُشهد ، فأُتي به فعرَّفه نعمته فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلتُ فيك حتى استُشهدتُ ، قال :**

---

(١) **صحيح** : رواه النسائي « ٢٥٨/٣ » وابن ماجه « ١٣٤٤ » وابن حبان « ٢٥٧٩ » .

كذبتَ ولكنك قاتلت لأن يُقال : هو جريءٌ ، فقد قيل ، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النَّار ، ورجلٌ تعلَّم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأُتي به فعرَّفه نعمته فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلّمت العلم وعلَّمته ، وقرأتُ فيك القرآن قال: كذبتَ ولكنك تعلَّمت ليُقال : عالم ، وقرأتَ ليُقال : هو قارئ فقد قيل ، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار . ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كلِّه ، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركتُ من سبيل تُحبُّ أن يُنفق فيها لكَ إلا أنفقتُ فيها لك . قال : كذبتَ ولكنك فعلت ليقال : هو جواد فقد قيل ، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار » (١) .

---

(١) صحيح : رواه مسلم « ١٩٠٥ » والنسائي « ٢٣/٦ » ، والترمذي « ٢٣٨٢ » ، وابن حبان « ٤٦٥٦ » .

فهذه الأعمال من أفضل الأعمال الصالحة ، ولكن لما كانت غير خالصة لوجه الله تبارك وتعالى كان صاحبها من أهل النار والعياذ بالله ، ولذلك كان السلف يخشون على أنفسهم الرياء خوفاً شديداً من ألا يُتقبل عمله .

« قيل : إن أبا الحسن الماوردي لم يُظهر شيئاً من تصانيفه في حياته ، وجمعها في موضع ، فلما دنت وفاته قال لمن يثق به :

الكتب التي في المكان الفلاني كلُّها تصنيفي ، وإنما لم أُظهرها ، لأني لم أجد نية خالصة ، فإذا عاينتُ الموت ، ووقعتُ في النَّزع ، فاجعل يدك في يدي ، فإنْ قبضتُ عليها وعصرتُها ، فاعلم أنه لم يُقبل منِّي شيء منها ، فاعمد إلى الكتب وألقها في دجلة ، وإن بسطتُ يدي ، ولم أقبض على يدك ، فاعلم أنها قد قُبلتْ ، وأني قد ظفرتُ بما كنتُ أرجوه من النية .

قال ذلك الشخص : فلما قارب الموت ، وضعتُ يدي

في يده ، فبسطها ، ولم يقبض على يدى ، فعلمتُ أنها علامة القبول ، فأظهرتُ كتبه بعده »[١] .

هكذا حال السلف ، فكيف بحالنا ؟!! ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) طبقات الشافعية للسبكي « ٢٦٨/٥ » .

[٢] اتباع السُّنة وترك الابتداع

قال تعالى : ﴿ ما أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) ﴾ [الحشر : ٧] .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) ﴾ [النساء : ٦٥] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي

يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (٣١) ﴾ .

[آل عمران : ٣١] .

وكما قيل في هذه الآية : زعم قوم محبة الله ، فامتحنهم بهذه الآية ، وقال سهل بن عبد الله : علامة حب الله حب القرآن ،وعلامة حب القرآن حب النَّبي ﷺ ، وعلامة حب النَّبي ﷺ حب السُّنة .

فكل من زعم محبة الله ومحبة رسوله ﷺ دون أن يمتثل لأوامر الكتاب والسُّنة فهو مخدوع مغرور بزعمه هذا ، إذ علامة الحب : الاتباع ﴿ فاتبعوني ﴾ .

وفي الديث الصحيح : « **عليكم بسُنَّتي وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين عضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة** » (١) ، ومحدثات الأمور هي : الأمور المحدثة في الدين وليس لها

---

(١) **صحيح** : رواه أبو داود « ٤٦٠٧ » والترمذي « ٢٦٧٦ » وابن ماجه « ٤٣ » ، وابن حبان « ٥ » .

أصل في التشريع ، كالاحتفال بالموالد ، وعيد الأم ، وشم النسيم ، وعيد الميلاد ، وعيد رأس السنة ... إلخ ، فهذه الأمور كلها مذمومة .

فاتباع السُّنة كله خير وبركة وسبب لدخول الجنة ، وترك السُّنة ، والابتداع شر كله وسبب لدخول النار ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كلُّ أُمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**. قيل: ومن يأبى يارسول الله ؟ **قال: من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى** »[(١)].

فالسُّنة السُّنة رحمك الله ، وإياك والابتداع .

وحتى يتسنّى لك الوقوف على البدع ومضارها وأنواعها في الدين ننصح بقراءة :

(أ) الابداع في مضار الابتداع .

(ب) السُّنن والمبتدعات .

---

(١) **صحيح** : رواه البخاري « ٧٢٨٠ » وأحمد « ٣٦١/٢ » .

[٣] التوبة والاستغفار

قال تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) ﴾[النور : ٣١] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣) ﴾ [هود : ٣] .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير (٨) ﴾ [التحريم : ٨] .

وقال أهل العلم : التوبة واجبة من كل ذنب ، فإن كانت المعصية بين العبد وربه تبارك وتعالى فلها ثلاثة شروط :

أحدها : أن يقلع عن المعصية .

والثاني : أن يندم على فعلها .

والثالث : أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً .

فإن فقد أحد هذه الشروط الثلاثة لم تصح توبته ، وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها أربعة ، هذه الثلاثة - السابقة - وأن يبرأ من حق صاحبها ، فإن كانت مالاً أو نحوه ردَّه إليه ، وإن كان حدَّ قذفٍ ونحوه مكنه منه

أو طلب عفوه ، وإن كان غيبة استحلَّه منها ، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فلا يخلو إنسان من ذنب يصيبه ، ولكن خير الناس المسارعين بالتوبة وبالاستغفار .

وعن أنس رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال : « **كل ابن آدم خطَّاء ، وخير الخطَّائين التوابون** » (١) ، وصاحب الذنب لا ييأس ولا يقنط من عفو الله ورحمته ، فالله عز وجل يتوب عليه متى تاب سواء بالليل أو بالنهار .

عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله عزَّ وجل يبسط يده بالليل ليتوب مُسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مُسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها** » (٢) .

ومهما تعاظم الذنب وكان كبيراً جليلاً فإن الله يغفره

---

(١) رواه أحمد « ١٩٨/٣ » ، والترمذي « ٢٥٠١ » وابن ماجه « ٤٢٥١ » والدارمي « ٣٠٣/٢ » ، والحاكم « ٢٤٤/٤ » وصححه ، وتعقبه الذهبي بقوله : عليٌّ لين .

(٢) **صحيح** : رواه مسلم « ٢٧٥٩ » والنسائي في الكبرى « ١١١٨٠/٥ » .

طالما توفرت فيه شروط التوبة ، مع صدق النية في هذه التوبة .

فعن عمران بن الحصين رضي الله عنه أن امرأةً من جُهينة أتت رسول الله ﷺ وهي حُبلي من الزنى ، فقالت : يا رسول الله ﷺ ! أصبتُ حدّاً ، فأقِمْهُ عليّ ، **فدعا نبي الله ﷺ وليَّها ، فقال : أحسنْ إليها ، فإذا وضعتْ فأتني بها ، ففعل ، فأمر بها النَّبي ﷺ فشُكَّتْ عليها ثيابها ، ثم أمر بها فرجمت ، ثم صلى عليها .**

فقال له عمر: تُصلِّي عليها يارسول الله وقد زَنَتْ ؟! ، قال : « **لقد تابت توبة لو قُسِّمتْ بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدتَ أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى** » (١) .

فهذه امرأة ارتكبت كبيرة من الكبائر وهي كبيرة : الزنا ومع صدق توبتها قبل الله منها وصلّى عليها رسول الله ﷺ .

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم « ١٦٩٦ » .

وتُقبل توبة العبد مالم يغرغر - أي في حالة النزع وخروج الروح على فراش الموت - فلا تقبل التوبة ، فعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - عن النَّبي ﷺ قال : « **إن الله عز وجل يقبل توبة العبد مالم يُغرغر** » [١] ، فهذا شرط آخر من شروط التوبة أن يتوب العبد قبل احتضاره ،وقبل وصول روحه إلى الحلقوم .

قال تعالى : ﴿ **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨)** ﴾ [النساء : ١٨] ، والموت مجهول وزمنه غير معلوم ، فلا ينبغي التسويف، فالعبد لا يعلم متى سيكون أجله ، وهل يُختم له بخير أم بشرٍّ ؟ فالعاقل من سارع وبادر بالتوبة وكثرة الاستغفار ، فله في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة ،

---

(١) **حديث حسن** : أخرجه ابن ماجه « ٤٢٥٣ » والترمذي « ٣٥٣٧ » وأحمد « ٤٢٥/٣ » ، والحاكم « ٢٥٧/٤ » .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة** » [١] .

وفي رواية عند مسلم « **مائة مرة** » [٢] ، فهذا نبي الله ﷺ المغفور له ما قدَّم وما أخرَّ ، المعصوم يستغفر ويتوب مائة مرة ، فكيف بحالنا نحن المقصرين المذنبين ؟! ، فوالله إن لم يرحمنا ربنا برحمته هو فلا نجاة لنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

هذا وليعلم أنه : لا صغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار .

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري « ٦٣٠٧ » .
(٢) **صحيح** : أخرجه مسلم « ٢٠٧٥ » .

[٤] الصبر (١)

قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ .

[البقرة : ١٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

[الزمر : ١٠] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) ﴾ [البقرة : ١٥٣] .

فالصبر هو حبس النفس عن الجزع ، واللسان عن التشكي ، والجوارح عن لطم الخدود ، وشق الجيوب ،

---

(١) انظر رسالتنا في الصبر وأهله وفضله ، من مطبوعات دار الإيمان .

ونحو ذلك .

هذا وليعلم أن الصبر مؤذن بالقوة والشجاعة والثبات والإيمان، والجزع عنوان الجبن والضعف والهلع والخسران.

وما نال مَنْ نال من خير الدنيا والآخرة إلا بالصبر ، ولا حُرم من حرم إلا بفقده ، قال تعالى : ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ** (٢٣) ﴾ [الرعد:٢٣] .

قال عبيد بن الأبرص :

صَبِّرِ النفسَ عندَ كلِّ مُلِمٍّ
إنّ في الصبر حيلة المُحتال
لا تضيقنَّ في الأمور فقد تكشف
غمَّاؤها بغير احتيال
رُبَّ ما تجزعُ النفوسُ من الأمر
له فَرْجَة كحلِّ العِقال

وقال ابن المقفع : الصبر صبران، فاللئام أصبر أجساماً ، والكرام أصبر نفوساً ، وليس الصبر الممدوح صاحبه أن يكون الرجل قوي الجسد على الكدّ والعمل ، لأن هذا من صفات الحمير ، ولكن أن يكون للنفس غَلوباً ، وللأمور متحمّلاً ، ولجأشه عند الحفاظ مُرتبطاً [١] .

وللصبر مراتب أربع : [٢]

إحداها : مرتبة الكمال : وهي مرتبة أولي العزائم ، وهي الصبر لله وبالله ، فيكون في صبره مبتغياً وجه الله صابراً به ، متبرّئاً من حوله وقوته ، فهذا أقوى المراتب وأرفعها وأفضلها .

الثانية : أن لا يكون فيه لا هذا ولا هذا ، فهو أخسُّ المراتب، وأردأُ الخلق،فهو جدير بكل خُذلان وبكلّ حرمان .

والثالثة : مرتبة من فيه صبرٌ بالله ، وهو مستعين

---

(١) أدب الدنيا والدين ، للماوردي « ص ٢١٣ » .

(٢) مدارج السالكين « ١٦٩/٢ » .

متوكل على حوله وقوته ، ولكن صبره ليس لله ، إذ ليس صبره فيما هو مراد الله الديني منه ، فهذا ينال مطلوبه ، ولكن لا عاقبة له ، وربما كانت عاقبته شرَّ العواقب ، وفي هذا المقام خفراء الكفار وأرباب الأحوال الشيطانية ، فإنَّ صبرهم بالله ، لا لله ولا في الله .

الرابعة : مَنْ فيه صبر لله ، لكنه ضعيف النصيب من الصبر به ، والتوكل عليه، والثقة به ،فهذا له عاقبة حميدة ، ولكنه ضعيف عاجز مخذول في كثير من مطالبه ، لضعف نصيبه من ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، فنصيبه من الله أقوى من نصيبه بالله ، فهذا حال المؤمن الضعيف .

والصبر ثلاثة أنواع :

[١] صبر على طاعة الله .

[٢] صبر عن المعصية .

[٣] صبر على البلاء والمصائب .

والصبر على البلاء – وهو مقصودنا هنا – هو بضاعة الصديقين ،فإنّ ذلك شديد على النفس ولذلك قال ﷺ : « **أسألك من اليقين ما تُهوِّن عليّ به مصائب الدنيا** »(١) فهذا صبر مستنده حسن اليقين .

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من يتصبَّر يُصبِّره الله ، وما أعطى أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر** »(٢) .

قال ابن حجر - رحمه الله - :

« وأن الصبر أفضل ما يعطاه المرء لكون الجزاء عليه غير مقدر ولا محدود » أ هـ .

وعن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **عجباً لأمر المؤمن ، إنّ أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إنْ أصابته**

---

(١) جزء من حديث ، وهو حديث حسن عند الترمذي « ٣٥٠٢ »
(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري « ١٤٦٩ » ومسلم « ١٠٥٣ » .

سرّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له » [١] .

قال ابن سعدي - رحمه الله - :

« الحالة الثانية : أن يحصل للعبد المكروه أو يفقد المحبوب ، فيحدث له هماً وحزناً وقلقاً ، فوظيفته الصبر لله ، فلا يتسخط ولا يضجر ولا يشكو للمخلوق ما نزل به ، بل تكون شكواه لخالقه ، ومن كان في الضراء صبوراً وفي السراء شكوراً لم يزل يغنم على ربه الثواب الجزيل ، ويكتسب الذكر الجميل » [٢] أهـ .

وإليك قصة هذه المرأة ، وهي أم سلمة زوجة أبي طلحة مات له ابنٌ وهو خارج البيت ، فقالت الزوجة لأهلها : لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه ، فلما رجع قرّبت إليه عشاءً فأكل وشرب ، ثم تزّينت له أحسن ما

---

(١) **صحيح** : أخرجه مسلم « ٢٩٩٩ » والدارمي « ٢٧٧٧ » .
(٢) الرياض الناضرة : « ص ٧٩ » .

كانت تصنع قبل ذلك ، فوقع بها ، فلما أن رأت أنه قد شبع وأصاب منها ، قالت : يا أبا طلحة ! أرأيت لو أنَّ قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم أَلَهُمْ أن يمنعوهم ؟ قال : لا ، فقالت : فاحتسب ابنك ، فخرج فصلى مع النَّبي ﷺ ثم أخبره بما كان منها ، فقال رسول الله ﷺ : « **لعلَّ الله أن يبارك لكما في ليلتكما** » ، فقال رجل من الأنصار : فرأيت لها تسعة أولاد كلهم قد حفظوا القرآن [(١)] .

فهذه المرأة لم تهلع ولم تجزع كعادة النساء في مثل هذه المواقف ، ولكن تصبّرت وتجلدت ، فكان جزاء ذلك أن بارك الله في ذريتهم ، فمن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ، فرحم الله نساء السلف ، وما أحوج نساءنا اليوم بالتشبه بهن .

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري « ٥٦٥٢ » ومسلم « ٢٥٧٦ » .

[٥] الصدق

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩] .

وقال تعالى : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٢١) ﴾ [محمد : ٢١] .

والصدق من صفات أهل الإيمان والبر والإحسان ، وهو من الصفات الموصلة للجنة إن شاء الله تعالى ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البِر ، والبِرُ يهدي إلى الجنة ، ومايزال الرجل يصدُقُ ويتحرَّى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار ، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله**

كذاباً »[١] .

وكذلك الكذب من صفات أهل النفاق ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **آية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كذب .. الحديث** »[٢] ، والكذب ... كذب فليس هناك كذبة بيضاء وأخرى سوداء ، وهكذا .

بل ورد التهديد والوعيد لمن يحدث الناس بالكذب ليضحكهم، كمثل من يقول النكت والطرائف الكاذبة، فعن بَهْزِ بن حكيم عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ويلٌ للذي يُحدِّث ليُضحِكَ به القوم فيكذبُ ، ويلٌ له ، ويلٌ له** »[٣] .

وليُعلم أن الصدق منجاة ، ويُحكى أن ربعيّ بن خراش كان لا يكذب قط ، وكان له ابنان عاصيان زمن الحجاج ، فطلبهما ، وقد اختفيا ، فقيل للحجاج : إن

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري « ٦٠٩٤ » ومسلم « ٢٦٠٧ » .
(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري « ٣٣ » ومسلم « ٥٩ » .
(٣) **حديث حسن** : أخرجه أبو داود « ٤٩٩٠ » والترمذي « ٢٣١٥ »

أباهما لا يكذب قط ، ولو أرسلت إليه ، فسألته عنهما ؛ فأرسل إليه ، فقال له : أين ابناك ؟ قال : هما في البيت . قال : قد عفونا عنهما لصدقك [١] .

وكما يعود فائدة الصدق على المرء نفسه، قد يتعدى للآخرين ويثمر فيهم.

قال العالم الرباني الشيخ عبد القادر الكيلاني – رحمه الله تعالى – : بنيتُ أمري – من حين ما نشأت – على الصدق ، وذلك أني خرجتُ من مكة إلى بغداد أطلب العلم ، فأعطتني أمي أربعين ديناراً أستعين بها على النفقة ، وعاهدتني على الصدق ، فلما وصلنا أرض همدان ، خرج علينا جماعة من اللصوص ، فأخذوا القافلة ، فمرّ واحد منهم ، وقال لي : ما معك ؟ قلت : أربعين ديناراً ، فظن أني أهزأ به فتركني فرآني رجل آخر ، فقال : ما معك ؟

---

(١) وفيات الأعيان ، لابن خلّكان « ٢ / ٣٠٠ » .

فأخبرته بما معي ، فأخذني إلى كبيرهم ، فسألني ، فأخبرته ، فقال : ما حملك على الصدق ؟ .

قلت : عاهدتني أمي على الصدق فأخاف أن أخون عهدها .

فأخذت الخشية رئيس اللصوص ، فصاح ومزّق ثيابه وقال : أنت تخاف أن تخون عهد أمك ، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله ؟! .

ثم أمر بردّ ما أخذوه من القافلة ، وقال : أنا تائب لله على يديك ، فقال من معه : أنت كبيرنا في قطع الطريق ، وأنت اليوم كبيرنا في التوبة ، فتابوا جميعاً ببركة الصدق [١] .

(١) من كتاب «تربية الأولاد في الإسلام» للشيخ عبد الله علوان «١/١٨٣».

[٦] الخـــوف

قال تعالى : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد (١٠٢) ﴾ [هود : ١٠٢] .

وقال تعالى : ﴿ يوم يفر المرء من أخيه (٣٤) وأمه وأبيه (٣٥) وصاحبته وبنيه (٣٦) لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (٣٧) ﴾ [عبس : ٣٤-٣٧] .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم (١) يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد (٢) ﴾ .

[الحج : ١ ، ٢] .

وقال تعالى : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (٢٥) قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين (٢٦) فمن الله علينا

وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨) ﴾ [الطور : ٢٥-٢٨] .

الخوف سوط الله ، يقوِّم به الشاردين عن بابه ، وهو سراجٌ في القلب ، به يُبصر ما فيه من الخير والشرّ ، وما فارق الخوف قلباً إلا خرب ، والناس على الطريق ما لم يُزل عنهم الخوف ، فإذا زال عنهم الخوف ضلّوا الطريق ، وإذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها ، وطرد الدنيا عنها .

قال الفضيل ـ رحمه الله ـ :

من خاف الله دلّه الخوف على كل خير .

والخوف على درجات وأنواع :[1]

الدرجة الأولى : الخوف من العقوبة ، وهو الخوف الذي يصحُّ به الإيمان ، وهو خوف العامة ، وهو يتولَّد من تصديق الوعيد ، وذكر الجناية ، ومراقبة العاقبة ، وهذا

(١) مدارج السالكين « ١/٥١٥ » .

الخوف علامة صحة الإيمان ، وترحُّله من القلب علامة ترحُّل الإيمان منه .

والدرجة الثانية : خوف المكر : فكم من مغبوط بحاله انعكس عليه الحال ، ورجع من حُسْن المعاملة إلى قبيح الأعمال ، فأصبح يُقلِّب كفَّيه ويضرب باليمين على الشمال ! ، بينما بدْرُ أحواله مستنير في ليالي التمام ، إذ أصابه الكسوف فدخل في الظلام ، فبُدِّل بالأُنس وحشة ، وبالحضور غيبة ، وبالإقبال إعراضاً ، وبالتقريب إبعاداً ، كما قيل :

أحسنتَ ظنَّك بالأيام إذا حُسِنَتْ
ولم تخف سوء ما يأتي به القدرُ
وسالمتك الليالي فاغتررت بها
وعند صفو الليالي يحدثُ الكدرُ

وللسلف أحوال مع الخوف والخشية – والله نَدُرَ أن تجد مثلها الآن – ، سُئلت فاطمة بنت عبد الملك زوجة

عمر بن عبد العزيز - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن عبادة عمر ، فقالت : والله ما كان بأكثر الناس صلاةً ، ولا أكثرهم صياماً ، ولكن والله ما رأيت أحداً أخوف لله من عمر ، لقد كان يذكر الله في فراشه ، فينتفض انتفاض العصفور من شدة الخوف حتى نقول : ليُصبحنَّ الناس، ولا خليفة لهم (١) .

بكى محمد بن المنكدر ليلةً فكثر بكاؤه حتى فزع أهله ، فأرسلوا إلى أبي حازم ، فجاء إليه فقال : ما الذي أبكاك ؟ قد رُعتَ أهلك ، قال : مرَّت بي آية من كتاب الله عز وجل ﴿ **وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ** (٤٧) ﴾ [الزمر : ٤٧] ، فبكى أبو حازم معه ، فقال بعض أهله لأبي حازم : جئناك بك لتفرّج عنه فزدته (٢) .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ، لابن عبد الحكم» ص ٤٩ » .
(٢) أحسن المحاسن ، لأبي إسحاق الرقّي» ص ١٧٧ » .

وقال أبو بكر بن عياش : صلَّيتُ خلف فضيل بن عياض صلاة المغرب ، وإلى جانبي عليٌّ ابنه ، فقرأ الفضل ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ ، فلما بلغ ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ ، سقط عليٌّ مغشياً عليه ، وبقي الفضيل لا يجاوز الآية ، ثم صلى بنا صلاة خائف ، قال : ثم رابطتُ علياً فما أفاق إلا في نصف الليل [١] .

قال محمد بن ناجية : صليتُ خلف الفضيل ، فقرأ ﴿ الْحَاقَّةُ ﴾ ، في الصبح ، فلما بلغ إلى قوله ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ ، غلبه البكاء فسقط ابنه عليٌّ مغشياً عليه [٢] .

قال الخطيب : مات قبل أبيه بمدّة ، من آية سمعها تُقرأ ، فغُشي عليه وتوفي في الحال [٣] . يا الله ... ما أرق هذه الأفئدة وما أتقاها !! .

فاللهم رقق قلوبنا ، واجعلنا نخشاك كأننا نراك ، أنت ولي ذلك ونعم الوكيل .

---

(١) ، (٢) ، (٣) سير أعلام النبلاء « ٨/٤٤٥ » .

[٧] البكاء من خشية الله

قال تعالى : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) ﴾ [الإسراء : ١٠٩] .

وقال تعالى : ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) ﴾ .

[النجم : ٥٩].

والبكاء علامة على صحة القلب وحياته ،ولهذه القطرات جزاء موفور عند خالقها ، فعن أنس رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال : « **من ذَكَرَ الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه ؛ لم يُعذَّب يوم القيامة** » (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ : « **لا يلج النار رجلٌ بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضَّرع**» (٢) .

---

(١) رواه الحاكم « ٤/ ٢٦٠ » ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) **صحيح** : أخرجه الترمذي « ٢٣١١ » ، وابن ماجه « ٢٧٧٤ » وأحمد « ٣٤٢ » .

وهذا رسول الله ﷺ يُصلِّي ولصدره أزيز كأزيز الرَّحا من البكاء .

استشعر حلاوة القرآن وتدبر معانية فأثمر عنده هذا البكاء .

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حفرت الدموع خطَّين أسودين في وجهه .

وكان رضي الله عنه يمرُّ بالآية من وِرده بالليل فيمرض حتى يعوده الصحابة شهراً ، وكان تحت عيني ابن عباس رضي الله عنهما مثل الشِّراك البالي من كثرة الدموع .

ولما رأت أم الربيع بن خُثَيم ما يلقي الربيع من البكاء والسهر نادته فقالت : يابني لعلك قتلتَ قتيلاً ؟ فقال : نعم ياوالدة ، قتلتُ قتيلاً ، فقالت : ومَنْ هذا القتيل يابني نتحمل على أهله فيعفوك ، والله لو علموا ما تلقى من البكاء والسهر لقد رحموك ؟ ، فيقول : يا والدتي ، هي نفسي .

وأقسم الربيع بن خراش ألا تفتر أسنانه ضاحكاً حتى يعلم أين مصيره ، فما ضحك إلا بعد موته ، وأقسم أخوه ربعي بن خراش بعده ألا يضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أو في النار .

قال الحارث الغنوي : فلقد أخبرني غاسله أنه لم يزل متبسماً على سريره -وكنا نغسّله - حتى فرغنا منه .

وهذا سيد البكّائين « الحسن البصري » كان إذا تكلّم كأنه يُعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها ،كان إذا بكى فكأن النار لم تُخلق إلا له، وإذا قدم فكأنما قدِم من دفن حميم له، وإذا جلس فكأنما هو أسير يستعد لضرب عُنقه .

قال يونس بن عُبيد : ما رأيت أحداً أطول حزناً من الحسن ، كان يقول : نضحك ولعلّ الله قد اطّلع على أعمالنا ، فقال : لا أقبلُ منكم شيئاً .

قال الحسن : إن المؤمن يُصبح حزيناً ويُمسي حزيناً ، ولا يسعه غير ذلك ، لأنه بين مخافتين : بين ذنبٍ قد

مضى لا يدري ما الله يصنع فيه ، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما يصيب فيه من المهالك .

وكان عطاء السليمي يبكي حتى خشي على عينيه ، فأُتي بطبيب يداوي عينه ، قال : أداوي بشرط أن لا تبكي ثلاثة أيام ، فاستكره ذلك ، وقال : لا حاجة لنا فيك .

وقال رحمه الله : بكيتُ على ذنبٍ أربعين سنة ، صِدتُ حمامةً وإني أحمد الله إليكم ، تصدقت بثمنها على المساكين .

وبكى رحمه الله حتى عَمِش .

قال يوسف بن مسلم : بكى علي بن بكار حتى عمي ، وكان قد أثَّرت الدموع في خدَّيه .

قال أبو النضر إسحاق بن إبراهيم : كنت أسمع وقْعَ دموع سعيد بن عبد العزيز على الحصير في الصلاة .

وقال أبو عبد الرحمن الأسدي : قلت لسعيد بن عبد العزيز : ماهذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة ؟ فقال :

يا ابن أخي، وما سؤالك عن ذلك؟ قلت: لعلّ الله أن ينفعني به ، فقال: ما قمتُ إلى الصلاة إلا مُثِّلَت لي جهنم.

وقُرئ عند يحيى البكاء ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠) ﴾ [الأنعام : ٣٠] ، فصاح صيحة مكث منها مريضاً أربعة أشهر ، يعاد من أطراف البصرة .

رحم الله سلفنا الصالح أصحاب الهمة والعلو في العبادة والتدين ، وهذا حالهم ، فكيف بنا نحن المقصرين المذنبين ؟!! .

لم يُبقِ خَوْفُك لي دمعاً ولا جَلَداً
لاشكَّ أني بهذا مَّيتٌ كمدا
عبدٌ كئيبٌ أتى بالعجز مُعْترفاً
وناره تحرقُ الأحشاءَ والكبدا
ضاقتْ مساكِنُهُ في الأرض من وَجَلٍ
فَهُبْ له منك لُطفاً إن لقيك غداً

[٨] برّ الوالدين

قال تعالى: ﴿ واعبدوا اللَّه ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إنَّ اللَّه لا يحب من كان مختالا فخورا (٣٦) ﴾

[النساء : ٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون (٨) ﴾ .

[العنكبوت : ٨] .

وقال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألاَّ تعبدوا إلاَّ إياه وبالوالدين إحسانا إمَّا يبلغنَّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما (٢٣)

وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) ﴾ [الإسراء : ٢٣ – ٢٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) ﴾ [لقمان : ١٤] .

بِرُّ الوالدين ... وما أدراك ما بِرّ الوالدين ، إنه أحب الأعمال إلى الله ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سألت النَّبي ﷺ : أيُّ العمل أحبُّ إلى الله تعالى ؟ قال : « **الصلاة على وقتها** ، قلت : ثم أي؟ ، **قال** : **بُر الوالدين** ، قلت : ثم أي ؟ **قال : الجهاد في سبيل الله** » (١) .

بِرّ الوالدين ... سبب دخول الجنة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « **رغم أنفُ ، ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر** :

(١) صحيح : أخرجه البخاري « ٥٢٧ » ومسلم « ٨٥ » .

أحدُهُما أو كلاهُمَا فلم يدخل الجنة »(١) .

بِرّ الوالدين أفضل من الهجرة مع النّبى ﷺ :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال : جئتُ أبايُعكَ على الهجرة وتركتُ أبوىَّ يبكيان ، فقال ﷺ : « **ارجع إليهما ، فأضحِكهُما كما أبكيتُهما** »(٢) .

بِرّ الوالدين ... سبب فى زيادة الرزق وطول العمر :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من سَّرهُ أن يُمدَّ له في عمره ويُزادَ في رزقه ، فليبرَّ والديه وليصل رحمه** »(٣) .

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري في الأدب المفرد « ٢١ » ومسلم « ٢٥٥١ » وأحمد « ٣٤٦/٢ » ورغم أنفه : أي لصق بالرُّغام ، وهو التراب ، والأسلوب كناية عن الخسران .

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري في الأدب المفرد « ١٣ » وأبو داود « ٢٥٢٨ » والترمذي « ١٦٧١ » .

(٣) **صحيح** : رواه أحمد « ٢٦٦/٣ » ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد « ١٣٦/٨ » : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، ورواه البخاري « ٥٩٨٦ » ، ومسلم « ٢٥٥٧ » باختصار ذكر البر .

بر الوالدين ... سبب فى رضا الله عنك :

عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « **رضا الله في رضا الوالد ، وسُخْطُ الله في سُخْطِ الوالد** » (١) .

قال ابن عمر رضي الله عنهما لرجل : أتخاف النار أن تدخلها ، وتُحبُّ الجنة أن تدخلها ؟ قال : نعم ، قال : بُرَّ أمك ، فوالله لئن ألنت لها الكلام ، وأطعمتها الطعام ، لتدخلنَّ الجنة ما اجتنبت الموجبات .

وروي عن عمر : أن رجلاً قال : قتلتُ نفساً ، قال : أمك حيَّة ؟ قال : لا ، قال : فأبوك ؟ قال : نعم . قال : فبُرَّ وأحسن إليه . ثم قال عمر : لو كانت أمُّه حيَّةً فبَرها وأحسن إليها ، رجوت أن لا تطعمه النار أبداً » (٢) .

---

(١) رواه الترمذي « ١٨٩٩ » ، وقال : حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد ابن جعفر ... ولم يرفعه ، وهذا أصحّ ، ورواه ابن حبان في صحيحه « ٤٣٠ » ، والحاكم « ١٥٢/٤ » وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) جامع العلوم والحكم « ص ١٨٤ » .

وكان زين العابدين كثير البِّر بأُمِّه حتى قيل له : إنك أبرُّ الناس بأُمِّك ، ولسنا نراك تأكل معها في صفحة ! ، فقال : أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون قد عققتها [١] .

قال المأمون : لم أر أحداً أبرَّ من الفضل بن يحيى بأبيه ، بلغ من برِّه به أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بماءٍ مسخَّن وهما في السجن ، فمنعهما السَّجَّان من إدخال الحطب في ليلة باردة ، فقال الفضل حين أخذ يحيى مضجعه إلى قُمقُمٍ كان يُسَخَّن فيه الماء ، فملأه ثم أدناه من نار المصباح ، فلم يزل قائماً وهو في يده حتى أصبح [٢] .

قيل لعمر بن ذرٍّ : كيف كان برُّ ابنك بك ؟ .

قال : ما مشيتُ نهاراً قط إلا مشى خلفي ، ولا ليلاً

---

(١) وفيات الأعيان « ٣/٢٦٨ » .

(٢) السابق « ٤/ ٣٦ » وعيون الأخبار « ٣/ ٩٨ » .

إلا مشي أمامي ، ولا رقِيَ سطحاً وأنا تحته [١] .

فوا أسفا على حال الآباء مع آبائهم وأمهاتهم ، في هذا العصر الذي سمعنا فيه من يركل أمه بقدميه ، ويطرد أباه من البيت من أجل زوجته !!! فهل هؤلاء ممن قال الله تعالى في كتابه : ﴿ وبالْوالديْنِ إحْساناً ﴾ .

---

(١) عيون الأخبار ٣/٩٧ .

[٩] حق الزوج

قال تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) ﴾ [النساء : ٣٤] .

وهذه من آكد الحقوق ، فقد أوجب الله تبارك وتعالى على الزوجة أن تطيع زوجها إذا أمرها بما ليس فيه معصية ، وأن تسره إذا نظر إليها ، وأن تحفظه في ماله وعرضه ، فلا تنفق شيئاً إلا بإذنه ، ولا تدخل أحداً في بيته إلا برضاه ، وأن تتعاون معه على السراء والضراء ، وتصون سره ، وتحسن عشرته ، وتخلص له الود ، وتصدقه الحديث ، وتحب من يحب وما يحب ، وتتقي ما لا يبغيه وما يحرجه ما

استطاعت إلى ذلك سبيلا .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح** »[١] .

فما بالك بمن لها فراش خاص في غرفة مستقلة عن زوجها ، لأن هذا من مظاهر التحضر والتمدن ؟! .

فيا أمة الله ! إن كنت تقدرين على لعنة الملائكة وغضب الرب تبارك وتعالى فهنيئاً لك هذا التحضر وهذا التمدن ، وحتى تعلمي أهمية رضا الزوج عنك تأملي حديث أم سلمة رضي الله عنها حيث قالت: « قال رسول الله ﷺ : « **أيُما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة** »[٢] .

ومن المعلوم أن السجود لا ينبغي إلا لله تبارك وتعالى ،

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري « ٥١٩٣ » ومسلم « ١٤٣٦ » .
(٢) أخرجه الترمذي « ١١٦١ » وابن ماجه « ١٨٥٤ » ، وفيه مجهول ، وقال الترمذي « حسن غريب » .

ولكن لمكانة الزوج قال ﷺ : « **لو كنتُ آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها** » (١) .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال : « **لا تُؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تُؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو عندك دخيلٌ ، يُوشك أن يفارقك إلينا** » (٢) .

سُئل أعرابي عن النساء ، وكان ذا تجربة وعلم بهنَّ ، فقال : أفضل النساء : أطولهنَّ إذا قامت ، وأعظمهنَّ إذا قعدت ، وأصدقهنَّ إذا قالت ، التي إذا غضبت حلمت ، وإذا ضحكتْ تبسَّمت ، وإذا صنعت شيئاً جوَّدت ، التي تُطيع زوجها ، وتلزم بيتها ، العزيزة في قومها ، الذليلة في نفسها ، الودود الولود ، وكل أمرها محمود (٣) .

---

(١) **حسن صحيح** : أخرجه الترمذي « ١١٥٩ » وابن ماجه « ١٨٥٣ » وابن حبان « ١٣٩٠ » .

(٢) **صحيح** : أخرجه الترمذي « ١١٧٤ » وابن حبان « ٢٠١٤ » وأحمد « ٢٤٢/٥ » .

(٣) العقد الفريد ، لابن عبد ربه « ١٠٧/٦ » .

ولأن الحياة الزوجية حياة مودة ومحبة وألفة ، فلابد لها من عوامل تساعد على ذلك ، وإليك هذه النصائح :

قال أبو الأسود لابنته :

- إياك والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق .
- وعليك بالزينة ، وأزينُ الزينة الكحل .
- وعليك بالطيب ، وأطيب الطيب إسباغ الوضوء .
- وكوني كما قلتُ لأمك في بعض الأحايين :

خُذي العفو مني تستديمي مودَّتي
ولا تنطقي في سَوْرتي حين أغضبُ
فإني وجدتُ الحبَّ في الصدر والأذى
إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهبُ (١)

(١) عيون الأخبار « ٤/٧٧ » .

حُكي أن أسماء بنت خارجة قالت لابنتها في ليلة زفافها :

يابُنَّيـة إنك خـرجت من العُشّ الذي فـيـه درجتِ ، فصرت إلى فراشٍ لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكوني له أرضـاً ، يكن لك سمـاءً ، وكـوني لـه مـهـاداً يكن لك عماداً ، وكوني له أَمَةً ، يكن لك عبداً ، واحفظي أنفه وسمعه وعينه ، فلا يشمُّ منك إلا طيباً ، ولا يسمع إلا حسناً ، ولا ينظر إلا جميلاً [(١)] .

وأخيراً تذكري قول أبي الدرداء :

« خير نسائكم التي تدخل قيْساً ، وتخرج ميَْساً ، وتملأ بيتها أقطاً وحيْساً ، وشر نسائكم السلفعة ، التي تسمع لأضراسها قعقعة ، ولا تزال جارتها مفزّعة » [(٢)] .

قيساً : إذا مشت قاست بعض خطاها ببعض ، فلم

---

(١) صفحات مشرقة من حياة السابقين « ص ٢١٧ »

(٢) عيون الأخبار « ٤/ ٩ » .

تعجل ولم تبطئ .

الميس : التبختر والتثنّي .

الأقط : الجبن .

الحيس : الطعام المتَّخذَ من التمر والأقط والسمن .

السلفعة : البذيئة الفحَّاشة القليلة الحياء الجريئة على الرجال .